بسم الله الرحمن الرحيم

أَيَّامُ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ١٠ ذُو الْحِجَّةِ ١٤٤٦هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا الْكَرِيمِ، كَتَبَهَا سُبْحَانَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَوَسِعَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّ بِهَا كُلَّ حَيٍّ، فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، يُوَالِي عَلَىٰ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ. وَعَطَاؤُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَنْعِهِ، وَرَحْمَتُهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - غَلَبَتْ غَضَبَهُ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَىٰ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

عِبَادَ اللهِ: آثَارُ رَحْمَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ظَاهِرَةٌ فِي خَلْقِهِ، بَيِّنَةٌ فِي آيَاتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

وَمِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: مَا نَشَرَهُ مِنْ رَحْمَةٍ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَمَا هَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي يَتَرَاحَمُونَ بِهَا إِلَّا شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ

تُصِيبَهُ».

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا: فَفِي مَشْهَدٍ عَجِيبٍ يَصِفُهُ لَنَا الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: لَمَّا قُدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟»، قُلْنَا: لَا وَاللهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ - سُبْحَانَهُ - بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؛ إِكْرَامًا بِالسَّائِلِينَ، وَرَحْمَةً بِالْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ، فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وَتَتَجَلَّىٰ رَحْمَتُهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِفَتْحِ بَابِ التَّوْبَةِ لِلْمُسْرِفِينَ، وَبَسْطِ يَدِهِ لِلتَّائِبِينَ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ: أَنْ جَعَلَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وَالْجَنَّةُ يَا عِبَادَ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُدْخِلُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُهَا أَحَدٌ بِعَمَلِهِ، فَلَوْ أَتَىٰ الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، لَمْ يَعْبُدِ اللهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ شُكْرَ نِعَمِهِ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ﷺ يَجِدُ الرَّحْمَةَ فِي أَكْمَلِ صُوَرِهَا، وَأَعْظَمِ مَعَانِيهَا، قَدْ حَفَلَتْ بِهَا سِيرَتُهُ، وَامْتَلَأَتْ بِهَا شَرِيعَتُهُ، فَكَانَ ﷺ يَعْطِفُ عَلَىٰ الصِّغَارِ، وَيَرِقُّ لَهُمْ، وَيُقَبِّلُهُمْ، وَيُلَاعِبُهُمْ، وَيَقُولُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ [أَيْ: زَوْجَ مُرْضِعَتِهِ]، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

فَمَا عَرَفَتِ الْبَشَرِيَّةُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالصِّغَارِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا [أَيْ: كَانَ زَوْجُ مُرْضِعَتِهِ حَدَّادًا]، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ [أَيْ: مُرْضِعَتَيْنِ] تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينُ سَمَاحَةٍ وَرَحْمَةٍ، وَسَلَامٍ لِلْبَشَرِيَّةِ، دَعَا إِلَىٰ التَّرَاحُمِ، وَجَعَلَهُ مِنْ دَلَائِلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ. وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَحَقَّهُمْ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا: الْوَالِدَانِ؛ فَبِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا تَكُونُ السَّعَادَةُ، وَبِبِرِّهِمَا تُسْتَجْلَبُ الرَّحْمَةُ، وَخَاصَّةً عِنْدَ كِبَرِهِمَا؛ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

عِبَادَ اللهِ: رَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَالشَّقِيُّ مَنْ لَمْ تَسَعْهُ هَذِهِ الرَّحْمَةُ، فَضَيَّعَ وَفَرَّطَ وَتَمَادَىٰ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الشَّقَاءُ وَالْعَذَابُ وَالْهَوَانُ، فَالْمُؤْمِنُ يَعُدُّ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ فُرْصَةً لِلْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِرَحَمَاتِهِ وَهِبَاتِهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَالتَّوْبَةِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، فَرَحْمَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تُسْتَجْلَبُ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ نَصِيبُ الْعَبْدِ مِنَ الطَّاعَةِ أَتَمَّ، كَانَ حَظُّهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ أَوْفَرَ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.